الفصل الرابع عشر
في الحواسِّ البَاطِنَـــــة[1]

قال الشيخ: «وأما القوة المدركة في الباطن فمنها القوة التي ينبعث منها قوى الحواس الظاهرة، وتجتمع بتأديها إليها: وتسمى الحس المشترك، ولولاها لما كان إذا أحسسنا بلون العسل إبصارًا حكمنا بأنه حلو، وإن لم نحس في الوقت حلاوة».

التفسير: أنه يجب علينا: أن نذكر ضابطًا لهذه القوى الباطنة، ثم نشتغل بعده بتفسير كلام «الشيخ» وتقريره. فنقول: الإدراكات اما كلية واما جزئية. أما الإدراكات الكلية فهي للنفس، وأما الإدراكات الجزئية فهي إما للحواس الظاهرة- وقد تكلمنا فيها، وأما للحواس الباطنة. ونقول: هذه الحواس الباطنة إما أن تكون مدركة أو متصرفة.

---

(١) الحواس الباطنة أثبتها بعض الفلاسفة وأنكرها أهل الإسلام. وتوضيحه على ما ذكره المولـوي عبد الحكيم في حاشية الخيالي في بيان أسباب العلم أنّ المحققين اتفقـوا علـى أنّ المـدرك للكليـات والجزئيات هو النفس الناطقة، وأنّ نسبة الإدراك إلى قواها نسبة القطع إلى السـكين. واختلفـوا في أنّ صور الجزئيات المادية ترتسم فيها أو في آلاتها. فذهب جماعة إلى أنّ النفس ترتسم صور الكليات فيها، وصور الجزئيات المادية ترتسم في آلاتها بناء على أنّ النفس بسيطة مجردة، وتكيّفها بالصور الجزئية ينافي بساطتها. فإدراك النفس لها ارتسامها في آلاتها، وليس هناك ارتسـامان ارتسـام بالـذات في الآلات وارتسام بالواسطة في النفس على ما توهم. وذهب جماعة إلى أنّ جميع الصور كليـة أو جزئيـة إنّمـا ترتسم في النفس لأنّها المدركة للأشياء، إلا أنّ إدراكها للجزئيات المادية بواسطة لا بذاتها، وذلـك لا ينافي ارتسام الصور فيها، غايته أنّ الحواس طرق لذلك الارتسام، مثلا ما لم يفتح البصر لم يدرك الجزئي المبصر و لم يرتسم فيها صورته، وإذا فتحت ارتسمت وهذا هو الحق. فمـن ذهـب إلى الأول أثبـت الحواس الباطنة ضرورة أنّه لابدّ لارتسام الجزئيات المادية المحسوسة بعد غيبوبتها وغير المحسوسة المنتزعـة عنها من محال. ومن ذهب إلى الثاني نفاها انتهى كلامه. وإنّما قال إنّ المحققين اتفقوا لأنّ بعض الحكماء ذهب إلى أنّ المدرك للكليات وما في حكمها من الجزئيات المجرّدة هـو الـنفس الناطقـة، والمـدرك للجزئيات المادية هو هذه القوى الجسمانية من الحواسّ الظاهرة والباطنة، على هذا المذهب أيضا إثبات الحواس الباطنة ضروري.

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١، ص: ٦٦٣.

والمدركة إما أن تكون مدركة للصور أو للمعاني. أما المدركة للمعاني القائمة بالأمور المحسوسة بالحواس الظاهرة، فهي المسمى بالحس وخزانته هي الخيال. وأما المدركة للمعاني القائمة بالأمور المحسوسة- مثل كون هذا الشخص عددا وذلك الشخص جنينًا- فهي الوهم، وخزانته الذاكرة. وأما المتصرفة فهي القوة المفكرة.

وهذا هو الكلام في تعريف هذه الحواس الباطنة على سبيل الاختصار.

ثم نقول: احتج «الشيخ» على إثبات القوة المسماة بالحس المشترك بأن قال: إذا رأينا لون العسل حكمنا أنه حلو. والحاكم بشيء لا بد وأن يكون مدركًا لكل واحد من الأمرين، بناء على أن التصديق مسبوق بتصور الطرفين.

فوجب القول بإثبات قوة واحدة مدركة مشتركة لجميع الأمور المحسوسة بالحواس الخمس. ومعلوم أن شيئًا من الحواس الخمس ليس كذلك. ولا يجوز أن يكون ذلك هو جوهر النفس، لأنه إذا ثبت أن كون النفس جوهر مجرد، وثبت أن الجوهر المجرد لا يدرك الجزئيات، ينتج: أن النفس لا تدرك هذه المحسوسات. فلا بد من قوة أخرى جسمانية لتكون مدركة لجميع هذه المحسوسات. وتلك القوة هي التي سميناها بالحس المشترك. فهذا تقرير هذه الحجة.

ولقائل أن يقول: ما ذكرتموه باطل لوجهين:

الأول: أنه كما يمكنا أن نقول: هذا الملون يجب أن يكون طعمه كذا كذا. أيضًا يمكننا أن نقول: ان هذا الشخص إنسان، وليس بفرس. فإما أن لا يلزم من القاضي على الشيئين أن يحضره المقضى عليهما، أو يلزم ذلك. فإن كان لا يلزم فقد سقط دليلكم، وإن كان يلزم فحينئذ الحاكم على الشخص بأنه إنسان يجب أن يكون مدركًا لهذا الشخص من حيث أنه هذا الشخص، وللإنسان من حيث أنه إنسان فيكون الشيء الواحد مدركًا للكلى والجزئي. لكن المدرك للكلي هو للنفس، فيلزمه أن يكون المدرك لهذا الجزئي هو النفس. وإذا كان الأمر كذلك، كانت النفس مدركة للجزئيات. وأنتم إنما حكمتم بإثبات هذه القوة بناء على أن النفس لا يمكنها أن تدرك الجزئيات. وإذا ثبت فساد هذه المقدمة، فحينئذ يظهر فساد هذا الدليل الذي ذكرتموه. وهذا البيان يدل على أن الدليل الذي ذكرتموه باطل.

الثاني: لم لا يجوز أن يقال: المدرك لهذه المحسوسات هو الحواس الظاهرة، والحاكم على هذا الملون بأنه هو هذا المطعوم هو القوة الفكرة التي هي المتصرفة في الصور والمعاني بالتحليل والتركيب؟ وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى إثبات هذا الحس المشترك.

ثم نقول: الذي يدل على فساد القول بالحس المشترك[1] وجوه:

الحجة الأولى: أنا إذا رأينا المرئيات بالقوة الباصرة، وسمعنا المسموعات بالقوة السامعة، وكذا القول في سائر المحسوسات، ثم إنا أحسسنا بكل هذه المحسوسات مرة أخرى بهذا الحس المشترك، فحينئذ كنا قد أحسسنا بكل واحد من هذه المحسوسات مرة بالحس الظاهر، ومرة أخرى بالحس المشترك.

---

(١) هو القوّة الّتي تتأدّى إليها المحسوسات كلّها. (طبيعيّات الشّفاء، الفنّ السّادس/ ١٤٥) هو قوّة في مقدّم الدّماغ، تجتمع عنده مثل جميع المحسوسات فيدركها. (سه رساله شيخ إشراق/ ٩٥) هو الّذي كلّ شيء ينطبع فيه يحسّ كأنّه مشاهد، كان الارتسام من سبب خارجيّ أو من داخل. (مجموعة مصنّفات شيخ إشراق ١/ ١٠٠) هي قوّة مرتسمة في مقدّم الدّماغ تتأدّى المحسوسات الظّاهرة كلّها إليها. (المباحث المشرقيّة ٢/ ٣٢٣) القوّة الّتي تفيض صور المحسوسات وهي الحس المشترك. (حاشية المحاكمات/ ٣٤٣) هو قوّة مرتّبة في مقدّم التّجويف الأوّل من التّجاويف الثّلاثة الّتي في الدّماغ تقبل جميع الصّور المنطبعة في الحواس الظّاهرة. (شرح الهداية الأثيريّة/ ١٩٧) هو لوح النّقش الّذي إذا تمكّن منه صار النّقش في حكم المشاهد. (شرحي الإشارات للطّوسيّ ٢/ ١٣١) هي الّتي ترتسم فيها صور جميع المحسوسات على سبيل المشاهدة. (حكمة العين/ ٣٧٧) هي قوّة مرتّبة في مقدّم التّجويف الأوّل من الدّماغ يجتمع عندها صور المحسوسات بأسرها. (شرح حكمة الإشراق/ ٤٥٥) هو قوّة تدرك صور المحسوسات بأسرها. (مطالع الأنظار/ ١٤٦) هي القوّة الّتي ترتسم فيها صور الجزئيّات المحسوسة بالحواس الخمس الظّاهرة. (شرح المواقف/ ٤٣٣) هو الّذي يجتمع فيه صور المحسوسات الظّاهرة كلّها. (الحكمة المتعالية ٩/ ٥٦) هي قوّة مودعة في مقدّم الدّماغ عند الجمهور.

وعندنا قوّة نفسانيّة استعداد حصولها في مقدم الدّماغ، بل في الرّوح المصبوب فيه يتأدّى إليها صور المحسوسات الظّاهرة كلّها. (نفس المصدر ٩/ ٢٠٥) هي قوّة متعلّقة بمقدّم التّجويف الأوّل من الدّماغ، ولولاها ما يمكن لنا الحكم بالمحسوسات المختلفة دفعة. (الشّواهد الرّبوبيّة/ ١٩٣) هي قوّة مرتّبة في مقدّم التّجويف الأوّل من الدّماغ، ومبادئ عصب الحسّ، ويقبل جميع الصّور المنطبعة في الحواسّ الظّاهرة بالتّأدّي إليه من طرق الحواس من جهة الأعصاب الحاملة للرّوح البخاريّ، فهو كحوض ينصبّ فيه أنهار خمسة. (المبدأ والمعاد لصدر الدّين/ ٢٤٢) القوّة الّتي ترتسم فيها صور الجزئيّات المحسوسة بالحواسّ الظّاهرة. ويسمّى باليونانيّة بنطاسيا، أي لوح النّفس (الحكماء) . (كشّاف اصطلاحات الفنون/ ٣٠٤).

لكنا نجد من أنفسنا وجدانًا ضروريًا: أنا رأينا «زيدا» فإنا ما رأيناه في الحالة الواحدة الا مرة واحدة، وان القول بهذا التعدد مما يأباه صريح العقل.

الحجة الثانية: أن هذه القوة الواحدة لو اجتمعت فيها هذه الإدراكات. ثم قلنا: إن هذه القوة موجودة في مقدم الدماغ، لزمنا أن نقول: أنا إذا لمسنا باليد، وأدركنا حرارة، فانا نجد ذلك اللمس حاصلا في مقدم الدماغ. وإذا ذقنا بالفم شيئًا، فانا نجد ذلك الذوق بمقدم الدماغ، لكنا نعلم بالضرورة أنا نجد ذلك اللمس باليد، لا بمقدم الدماغ، ومدرك ذلك الذوق باللسان لا بمقدم الدماغ، فكان قولهم على خلاف العقل.

الحجة الثالثة: الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد. فالقوة الواحدة لا يصدر عنها الا نوع واحد من الإدراك. فالقوة الباصرة يمتنع أن يصدر عنها الا نوع واحد من الإدراك- وهو الابصار- والقوة السامعة يمتنع أن يصدر عنها الا نوع واحد من الإدراك- وهو السماع- وإذا عرفت هذا فنقول: انهم زعموا أن هذه القوة المسماة بالحس المشترك تقوى على إدراك جميع المحسوسات بجميع أنواع الإدراكات. وذلك يبطل ما قالوه من أن القوة الواحدة لا يصدر عنها الا أثر واحد.

ولنرجع إلى تفسير ألفاظ الكتاب:

أما قوله: «فمنها القوة التي تنبعث منها قوى الحواس الظاهرة، وتجتمع بتأديها إليها وتسمى الحس المشترك» فاعلم: أن هذه العبارة كأنها مختلفة. وأظن أن العبارة الصحيحة أن يقال: فمنها القوة التي تنبعث منها قوى الحواس الظاهرة وتجتمع في تأديتها محسوساتها إليها وتسمى الحس المشترك. وذلك أن الحواس الظاهرة كلها منبعثة ومتشعبة من هذه القوة المسماة بالحس المشترك.

ومعنى هذا الانبعاث: هو أنها بأسرها إذا أدركت محسوساتها، أدت تلك المحسوسات إلى هذه القوة المسماة بالحس المشترك، حتى أنها تحكم على هذا الملون بأنه هو ذلك المطعوم. وكأن هذه الحواس الظاهرة إنما كانت لأجل أن تكون خوادم لهذا الحس المشترك، وانما تستعد بأعمالها وأفعالها خدمة له وذلك هو المراد من الانبعاث. فلهذا السبب سموا هذه القوة بأنها مجمع الحواس الظاهرة.

ثم ههنا بحث آخر وهو: أن إدراك الماهيات من باب الانفعال، فإنه لا معنى للتصور الا حصول صور الماهيات في القوة المدركة، وأما الحكم على هذا بأنه ذلك أو ليس ذلك، فهو من باب الفعل.

وعندهم الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد. وعلى هذا القانون. وجب أن لا تكون القوة الحاكمة على هذا الملون بأنه هو ذلك المطعوم، مدركة لا لهذا اللون ولا لهذا الطعم. والا فقد صدر عن القوة الواحدة فعل وانفعال معًا. وذلك غير جائز. ثم إذا لم يكن هذا الحاكم مدركًا للمحكوم عليه. فليت شعرى لم يحكم بشيء غير معلوم على شيء غير معلوم؟

وأيضا: فبتقدير صحة هذا الكلام، يبطل قوله: القاضى الشيئين لا بد وأن يحضره المقضى عليهما. وأما إن قلنا: بأن هذه القوة الواحدة تدرك هذه الماهيات وتحكم عليها، فحينئذ قد جوزوا صدور الآثار المختلفة عن القوة الواحدة، فلم لا يجوزون أن تكون القوة الواحدة هي المدركة للصور، فهي المدركة للمعاني وهي المتصرفة فيها بالتحليل والتركيب. وعلى هذا التقدير تصير القوى الخمس الباطنة قوة واحدة، ويبطل كلامهم بالكلية.

وأما بقية الألفاظ فظاهر.

قال الشيخ: «وهذا الحس المشترك تقترن به قوة تحفظ ما تؤديه الحواس إليه من صور المحسوسات، حتى إذا غابت عن الحس بقيت فيه بعد غيبتها. وهذا يسمى الخيال والصورة. وعضوها مقدم الدماغ» .

التفسير: فيه مسائل:

المسألة الأولى

أنه لما أثبت الحس المشترك، أثبت له خزانة. وذلك لأنا إذا شاهدنا شيئًا ثم غفلنا عنه، فإنه تبقى صورته في الخيال بدليل: أنا إذا شاهدناه مرة أخرى، حكمنا بأن هذا الذي نشاهده هو الذي شاهدناه قبل ذلك. ولولا أن صورته كانت محفوظة عندنا، وإلا لما قدرنا على أن نحكم بأن هذا المشاهد هو الذي كان مشاهدًا قبل ذلك.

واحتج «الشيخ» في سائر كتبه على أن هذه الحافظة غير تلك القوة المسماة بالحس المشترك بأن قال: الحس المشترك لها قوة أخذ هذه الصورة. وهذا الخيال له قوة حفظها. والحفظ لا يحصل بالشيء الذي يحصل به القبول. بدليل: أن الذي ليس له قوة أخذ الصورة، والذي ليس له قوة حفظها. وهذا الوجه ضعيف. لأن هذا الذي يحفظ. هل قبل أم لا؟ فإن كان قبل، فقد سلمتم أن القوة الواحدة قد حصل بها القبول والحفظ معًا.

وحينئذ قولكم: الحفظ يحصل بما لا يحصل به القبول يكون باطلا. وإن كان ما قبل، فهذا محال. لأنه لما لم يقبل تلك الصورة، فكيف يحفظها؟ وذلك معلوم بالضرورة.

ثم نقول: الذي يدل على فساد القول بهذه القوة وجوه؟

الحجة الأولى: أن الجزء الدماغي الذي يقال: إن هذه القوة حالة فيه: شيء صغير جدًا في الحجمية. ثم إنا نتخيل صور البحار والجبال وللسماوات والأرض. ومن المعلوم بالبديهة أن ارتسام الصور العظيمة في المحل الصغير محال.

الحجة الثانية: هي أن الصور الكثيرة إذا ارتسمت في هذا المحل الصغير، فحينئذ يلزم وقوع النفوس بعضها على بعض. فوجب أن يختل الكل.

هذا إذا قلنا: أن تلك النفوس حصلت فيه. وإن قلنا: أنها ما حصلت فيه، كان ذلك قولا بأن هذه الصورة غير مرتسمة فيه.

الحجة الثالثة: أن مذهب «الشيخ» أنه لا معنى للإدراك الا حضور صورة المدرك في المدرك. فلما قال: هذه الصور حاضرة في هذه القوة، مع أن هذه القوة ما أدركتها، فحينئذ يلزم أن يكون هذا الحضور.

وذلك يناقض قوله: أنه لا معنى للإدراك إلا مجرد الحضور.

المسألة الثانية

أما قوله: «وعضوها مقدم الدماغ» فمعناه: العضو الحامل للقوة المسماة بالحس المشترك. والقوة المسماة بالخيال هو مقدم الدماغ. والدليل عليه: أنه متى وقعت الآفة في هذا العضو، اختلت أفعال هذه القوة.

ولقائل أن يقول: هنا سؤالان:

السؤال الأول: إن بتقدير أن يكون هذا العضو آلة لهذا الفعل، لا محالا للقوة الفاعلة لهذا الفعل، فإنه يلزم من وقوع الآفة في هذا العضو، وقوع الآفة في هذا الفعل. وحينئذ لا يمكن الاستدلال بذلك على كون هذه القوة حالة في هذا العضو.

السؤال الثاني: أن محل هاتين القوتين إما أن يكون جزءًا من الدماغ، أو جزءين. والأول باطل. والا لكانت الصورة الحاضرة عند إحدى القوتين، تكون حاضرة عند القوى الأخرى، وحينئذ يلزم أن يقال: متى كانت هذه الصورة حاضرة عند الخيال، أن يكون الحس المشترك مدركًا لها، ومتى لم يكن الحس المشترك مدركًا، وجب أن لا تكون تلك

الصورة حاضرة عند الخيال. وكلا القولين باطل. والثاني أيضًا باطل. والا لزم جواز أن يختل أحد الفعلين مع بقاء الثاني على لسلامه- كما في سائر القوى- معلوم أن ذلك باطل.

قال الشيخ: «وههنا قوة أخرى في الباطن تدرك من الأمور المحسوسة ما لا يدركه الحس. مثل القوة في الشاة التي تدرك من الذئب معنى لا يدركه الحس ولا يؤديه الحس. فإن الحس ليس يؤدي إلا الشكل واللون. فأما أن هذا ضار أو صديق أو عدو أو منفور عنه، فتدركها قوة أخرى تسمى وهما».

التفسير: لما أثبت القوة الباطنة المدركة لصور المحسوسات. وهي الحس المشترك، وأثبت خزانتها، وهي الخيال، شرع الآن في إثبات القوة الباطنة المدركة لمعانى المحسوسات. وهي **المسماة بـــ(الوهم)** [1].

---

(١) قوّة الوهم: هي الّتي تدرك من المحسوس ما لا يحسّ، مثل القوّة في الشّاة إذا تشبّح صورة الذّئب في حاسّة الشّاة فتشبّحت عداوته ورداءته فيها إذا كانت الحاسّة لا تدرك ذلك. (رسائل الفارابي، كتاب الفصوص/ ١٢) هي الّتي تدرك من المحسوس ما لا يحسّ. (فصوص الحكم/ ٧٨) قوّة من قوى النّفس الحيوانيّة متخيّلة بها الأشياء. (رسائل إخوان الصّفا ٣/ ٣٩٢) القوّة الوهميّة هي قوّة مرتّبة في نهاية التّجويف الأوسط من الدّماغ تدرك المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئيّة. (طبيعيّات الشّفاء، الفنّ السّادس/ ٣٦، النّجاة من الغرق في بحر الضّلالات/ ٣٢٩) هي الّتي تدرك في المحسوسات معاني غير محسوسة. (المبدأ والمعاد لابن سينا/ ٩٤) معان لا يدركها الحسّ، كالمعنى الّذي ينفرّ الشّاة عن الذّئب، بل كالإنسانيّة والشّكليّة والعدديّة لا مجرّدة بل مأخوذة مع شخص محسوس منتشر، ولا محالة أنّ النّفس تدركها بواسطة قوّة بدنيّة، والقوّة الّتي بها تدركها تسمّى وهما، ولها خزانة، وهي القوّة الحافظة ومعدنها مؤخّر الدّماغ. (التّحصيل/ ٧٨٧) هي الّتي تدرك المعاني. (تهافت الفلاسفة/ ٢٣٩) هي الّتي تدرك المعاني... وهذه تحفظ المعاني دون صورها وموادّها... ومحلّها التّجويف الأخير من الدّماغ. والاولى (القوّة الخياليّة) مختصّة بقوى المعاني وصورها وموادّها. (مجموعة رسائل الإمام الغزاليّ ١/ ٩٩) هي الّتي تدرك في المحسوسات معاني غير محسوسة بإدراك الشّاة معنى في الذئب موجبا لهرب. (سه رسالة شيخ اشراق/ ٩٦) إنّ هذه القوّة (الذّاكرة) تكون في الإنسان بفكر ورويّة، ولذلك يتذكّر. وأمّا في سائر الحيوان فهي طبيعيّة، ولذلك يذكر الحيوان ولا يتذكّر. وليس لهذه القوّة في الحيوان اسم. وهي الّتي يسمّيها ابن سينا بالوهميّة. (في النّفس/ ٢٠٩) القوّة المدركة للمعاني الجزئيّة هي المسمّاة بالوهم. (شرحي الإشارات للرّازيّ ١/ ١٤٧) هي مرتّبة في التّجويف الأوسط من الدّماغ. هي القوّة الّتي يحكم على المحسوسات في الحيوانات لمعان غير محسوسة. (شرح حكمة الإشراق/ ٤٥٦) .

وتقريره: أن كون هذا الشخص صديقًا أو كون ذلك عدوًا: معنيان مضافان إلى هذين الشخصين. ولا شك أن الحس لا يدركهما. فلا بد من إثبات قوة أخرى تدركهما. وهي المسماة بالوهم.

ولقائل أن يقول: لم لا يجوز أن تكون القوة الواحدة مدركة لتلك الصور، وهذه المعاني. ولا يمكنكم أن تبطلوا هذا الاحتمال الا بالبناء على أن الواحد لا يصدر عنه الا الواحد. وقد أبطلناه. ثم نقول: الدليل على أن المدرك لهذه المعاني هو المدرك لتلك الصور: أنا إذا قلنا: أن هذا الشخص المحسوس عدو، فقد حكمنا على هذا الشخص بكونه عدوا. والحاكم بشيء على شيء لا بد وأن يكون متصورا لكليهما.

فثبت: أنه لا بد من الاعتراف بشيء واحد، يكون ذلك الشيء بعينه مدركًا للصور والمعاني. وهو المطلوب.

قال الشيخ: «وكما أن للحس خزانة هي المصورة، فكذلك للوهم خزانته تسمى الحافظة[1] والذاكرة، وعضو هذه الخزانة مؤخر الدماغ».

التفسير: فيه مسائل:

=

هي قوّة تدرك المعاني الجزئيّة. (إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد/ ٣٧٩) هي قوّة تدرك المعاني الجزئيّة. هي قوّة تدرك بها النّفس في المحسوسات الجزئيّة، المعاني الجزئيّة الّتي ليست بمحسوسة. (مطالع الأنظار/ ١٤٧) هي الّتي تدرك المعاني الجزئيّة المتعلّقة بالصّور المحسوسة. (شرح المواقف/ ٤٣٤) القوّة الّتي تفيض معانيها إلى الوسط، وهي الوهم. (حاشية المحاكمات/ ٢٤٣).

(١) الحافظة: هي تحفظ جميع أحكام الوهم والمتخيّلة والوقائع على تفاصيلها ونسبها. (سه رساله شيخ إشراق/ ٢٢) القوّة الّتي تكون خزانة لها (القوّة الوهم) هي المسمّاة بالحافظة. (شرحي الإشارات للرّازي ١/ ١٢٧) هي الّتي تحفظ المعاني الجزئيّة بعد الغيبوبة. (إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد/ ٣٧٩) هي قوّة تحفظ هذه المعاني الّتي يدركها الوهم. (مطالع الأنظار ١/ ١٤٧) القوّة الّتي تفيض معانيها... إلى آخر الدّماغ وهي الحافظة. (حاشية المحاكمات/ ٢٤٣) هي قوّة مرتّبة في أوّل التّجويف من الدّماغ يحفظ ما يدرك القوّة الوهميّة من المعاني الجزئيّة. وهي خزانة الوهم. (المبدأ والمعاد لصدر الدّين/ ٢٤٨) (عند الحكماء) قوّة تحفظ ما تدركه القوّة الوهميّة من المعاني، وتذكرها. ولذلك سمّيت ذاكرة أيضا. ومحلّها البطن الأخير من الدّماغ. (كشّاف اصطلاحات الفنون/ ٣١١).

المسألة الأولى

كما أثبت للحس الباطن المدرك لصور المحسوسات خزانة- وهي الخيال- كذلك أثبت لهذا الحس الباطن الذي سماه بالوهم خزانة - وهي التي تحفظ هذه- والكلام فيه عين ما تقدم. فإن هذا الذي يحفظ هذه المعاني، إن كان لم يقبلها، فكيف يحفظها؟ وإن كان قد قبلها، كان اعترافًا بأن الشيء الواحد قد يكون قابلا حافظًا معًا.

وحينئذ يبطل قولهم: أنه لا بد من إثبات قوتين لهذين الفعلين.

المسألة الثانية

ذكر في كثير من كتبه: أن الأولى أن يقال: الحافظة لهذه المعاني غير الذاكرة المسترجعة. كيف لا نقول ذلك، والحفظ امساك، والاسترجاع فعل، والقوة الواحدة لا تفى بنوعين مختلفين من الفعل؟ وقال: الأليق بقولنا الواحد لا يصدر عنه الا لواحد، ليس إلا ذلك وقال إن تذكر النسيان عجيب جدًا. وذلك لأن الإنسان حال ما يتذكر الشيء الذي نسيه، إما أن يقصد ذكره بعينه أو لا يقصده بعينه. فإن قصده بذكره بعينه، فهو عالم به بعينه. لأن القصد إلى الشيء المعين حال الغفلة عنه بعينه محال. وإذا كان عالمًا به بعينه، امتنع أن يتذكره؛ لأن التذكر لا معنى له إلا تحصيل العلم به. فإنه لو كان العلم حاصلا كان بذكره طلبًا لتحصيل الحاصل. وهو محال.

وأما إن لم يقصده بذكره بعينه، بل قصد تذكر شيء. أي شيء كان، فلم حصل ذكر هذا المنسي دون سائر المنسيات؟

فثبت: أن أمر التذكر عجيب.

قال الشيخ: «وهنا قوة تفعل في الخيالات تركيبًا وتفصيلا، تجمع بين بعضها وبعض، وتفرق بين بعضها وبعض. وكذلك تجمع بينها وبين المعاني التي في الذكر. وتفرق هذه القوة إذا استعملها العقل سميت مفكرة، وإذا استعملها الوهم سميت متخيلة. وعضوها الدودة التي في وسط الدماغ».

التفسير: ههنا مسائل:

المسألة الأولى

لما أثبت القوة الباطنة المدركة لمعاني المحسوسات، شرع الآن في القوة المصورة[1]. وتقريره: أنه يمكننا أن نركب بعض الصور الخيالية مع بعض، كما إذا تخيلنا جبلا من ياقوت، وبحرا من زئبق، وانسانا له ألف ألف رأس. ويمكننا أن نركب هذه الصور الخيالية بهذه المعاني الوهمية. كما إذا حكمنا بأن هذا الشخص صديق. وهذا عدو، فإثبات هذا التركيب وهذا التحليل فعل. وأما إدراك الماهيات فإنه انفعال والقوة الواحدة لا تكون فاعلة ومنفعلة معًا. ولما كانت تلك القوى كلها منفعلة، وجب أن تكون هذه القوة الفاعلة مغايرة لتلك القوة المنفعلة التي هي القوة المدركة. وذلك هو المطلوب.

ولقائل أن يقول: السؤال عليه من وجهين:

الأول: هذه القوة التي تتصرف في الصور الجزئية والمعاني الجزئية. هل تدركهما؟ فإن كانت تدركهما فقد اعترفتم بأن القوة الواحدة لا يمتنع أن تكون مدركة منصرفة معًا. وحينئذ يسقط دليلكم. وإن كانت لا تدركهما فمن لا يدرك شيئًا كيف يمكن أن يتصرف فيه؟ وليت شعري كيف غفل هؤلاء القوم عن أمثال هذه السؤالات الظاهرة الجلية القريبة من كل عاقل.

الوجه الثاني: أن المدرك للتصورات الكلية والتصديقات الكلية، ليس إلا النفس. والنفس جوهر مجرد واحد، ليس فيه أجزاء ولا أبعاض، حتى يقال: صاحب التصورات شيء، وصاحب التصديقات شيء آخر.

---

(١) القوّة المصوّرة: الّتي هي متوسّطة بين القوتين المتباعدتين. (رسائل الكنديّ الفلسفيّة/ ٢٨٤) (هي) تدرك الصّور مجرّدة عن المادّة الحاملة لها. (نفس المصدر/ ٢٨٥) هي الّتي تستثبت صور المحسوسات بعد زوالها عن مسامّة الحواسّ، وملاقاتها، فتزول عن الحسّ وتبقى فيها. (رسائل الفارابي، كتاب الفصوص/١٢) هي الّتي تفيد المنيّ بعد استحالته، الصّورة والقوى والأعراض بإذن الله تعالى. (المباحث المشرقيّة ٢/ ٢٤٧) هي الّتي تفيد بعد استحالة (المنيّ) في الرّحم الصّور والقوى والأعراض الحاصلة للنّوع. (إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد/ ٣٦٩) هي الّتي تحيل تلك المادّة (النّطفة) في الرّحم وتفيد الصّور والقوى وتخدم هذه القوى. (مطالع الأنظار/ ١٤٨) هي الّتي تفيد المنيّ بعد استحالته، صورة تكون معدّة لفيضان القوى والكيفيّات بإذن الله- تعالى-. (الحكمة المتعالية ٩/ ٨٠) هي قوّة يحفظ بها الصّورة الموجودة في الباطن. (نفس المصدر ٩/ ٢١١).

وإذا ثبت هذا فنقول: التصورات إدراكات. وأما التصديقات فهي عبارة عن تركيب تلك التصورات وتحليلها. ثم ان هذين الأمرين يستقل بهما جوهر النفس من غير تعديد القوى والأجزاء فيه. وإذا جاز ذلك في الكليات، فلم لا يجوز مثله في الجزئيات؟

المسألة الثانية

زعم: أن هذه القوة إذا استعملها العقل سميت مفكرة[1]، وإن استعملها الوهم سميت متخيلة. وههنا بحثان:

البحث الأول: أن العقل إما أن يمكنه إدراك هذه الصور الجزئية والمعاني الجزئية، أو لا يمكنه إدراكهما. فإن أمكنه أدراكها فنقول: لعل المدرك لها هو العقل. لا هذه القوى التي أثبتوها. وعلى هذا التقدير لا يمكنكم إقامة الدلالة على إثبات هذه القوى. وإن كان لا يمكنه إدراكها، فحينئذ يكون العقل غافلا عن هذه الجزئيات. فكيف يمكنه استعمال هذه القوة المفكرة في تلك الأمور مع كونه غافلا عنها بالكلية؟

البحث الثاني: هو أن قولكم: أنه إذا استعملها الوهم سميت متخيلة. اعتراف منكم بأن الوهم يستعملها. واستعمال الوهم لها فعل، وكون الفعل مدركًا لتلك المعاني الجزئية انفعال. وحينئذ فقد سلمتم أن الوهم مبدأ الفعل والانفعال معًا. وإذا كان كذلك. فلم لا يجوز أن يكون المقوى لهذا التركيب والتحليل هو الوهم فقط، من غير حاجة إلى إثبات هذه القوة؟

---

(١) القوّة المفكّرة: هي الّتي تتسلّط على الودائع في خزانتي المصوّرة والحافظة فيخلط بعضها ببعض ويفصل بعضها عن البعض وإنّما تسمّى مفكّرة إذ استعملها روح الإنسان والعقل. (رسائل الفارابي، كتاب الفصوص/ ١٢ و٧٩) اذ استعملتها (هذه القوّة) النّفس بواسطة القوّة العقليّة في أمر عقليّ سمّيت مفكّرة. (التّحصيل/ ٧٨٦) هي الّتي بها يستعدّ النّفس في الأصل لاكتساب جميع ما في قوّته أن يكون لها. (نفس المصدر/ ٧٩١) هي في التّجويف الأوسط بين حافظ الصّور وحافظ المعاني فهي حائكة. (مجموعة رسائل الامام الغزاليّ ١/ ٩٩) الفكر يطلق على معان: منها حركة النّفس بالقوّة الّتي آلتها مقدّم الدّودة الّتي هي البطن الأوسط من الدّماغ، أيّ حركة كانت إذا كانت في المعقولات، فإنّها إذا كانت في المحسوسات تسمّى تخيّلا، وتلك القوّة واحدة، لكن تسمّى بالاعتبار الأوّل مفكّرة. (مطالع الأنظار/ ١٠) القوّة المتصرّفة هي الّتي من شأنها أن تتصرّف في المدركات المخزونة في الخزانتين بالتّركيب والتّحليل... وهذه القوّة إن استعملها القوّة النّاطقة يسمّى باسم المفكّرة... (الحكمة المتعالية ٩/ ٥٦).

المسألة الثالثة:

في بيان قوله: «وعضوها الدودة التي في وسط الدماغ»

فنقول: أما الدودة فصفتها مذكورة في كتاب «التشريح» وإنما عرفوا أن هذه القوة هناك لأنه متى حصلت الآفة في هذا الموضع، اختل فعل هذه القوى. وقد تقدم الاستدلال على هذا الكلام.

قال الشيخ: «فهذه هي القوة التي في باطن الحيوان، أعني: الحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والمتخيلة».

التفسير: الكلام على الدلائل التي تمسك بها في إثبات هذه القوى.

إلا أني أزيد هنا سؤالا آخر فأقول: صور المحسوسات كما يمكن إدراكها على وجه جزئي، فكذلك يمكن إدراكها على وجه كلي. وأيضا: المعاني الجزئية القائمة بهذه الأشخاص المحسوسة كما يمكن إدراكها على وجه جزئي، فكذلك يمكن إدراكها على وجه كلي. وأيضا: التفكر وهو عبارة عن التركيب والتحليل كما يمكن حصوله في الجزئيات، فقد يعقل حصوله أيضًا في الجزئيات. وأن جملة الحدود والبراهين مركبة عن تصورات كلية مجردة.

فثبت: أن إدراك الملائم وإدراك المعاني، كما يعقل حصولها في الجزئيات، فقد يعقل حصولها أيضًا في الكليات. فإن لم يمتنع اسناد هذه الأمور الثلاثة إلى قوة واحدة، فلم لا يحكم «الشيخ» بإسناد هذه الأمور الثلاثة في الجزئيات إلى قوة واحدة؟ وإن امتنع اسنادها إلى قوة واحدة، فكيف يحكم بإسنادها في الكليات إلى جوهر النفس؟ مع أنه في ذاته شيء واحد ليس فيه تركيب البتة.

فثبت: أن هذا الكلام مختل.

قال الشيخ: «والحس المشترك غير الخيال؛ لأن الحافظ غير القابل والحفظ في كل شيء بقوة غير قوة القبول، ولو كان الحفظ لقوة القبول، لكان الماء يحفظ الأشكال كما يقبلها، بل للماء قوة قابلة وليس له قوة حافظة».

التفسير: هذا الكلام قد تقدم ذكره والاعتراض عليه. وأيضا: فهو قد ذكر ههنا أن الماء له قوة القبول، وليس له قوة الحفظ. فنقول: إن إثبات الدعوى الكلية، بذكر المثال

الواحد لا تثبت، فلا يلزم من كون الأمر كذلك في الماء، أن يكون الأمر كذلك في سائر المواضع. وأما ترك المثال ورجع إلى الدليل العام- وهو أن القبول أمران مختلفان فيمتنع صدورهما عن قوة واحدة- كان الكلام ما ذكرنا وهو أن الشيء الذي يحكم عليه بكونه حافظًا، لا بد وأن يحكم عليه بأنه قابل؛ لأن الذي لا يقبل كيف يحفظ؟ وحينئذ يلزم القطع بأن الشيء الواحد محكوم عليه بكونه قابلا وحافظًا، ويلزم منه سقوط هذه الحجة بالكلية.

قال الشيخ: «وقوة المتحصلة المتخيلة خاصيتها دوام الحركة، ما لم يغلب وحركتها محاكاة الأشياء بأشباهها وأضدادها، فتارة تحكي المزاج كمن يغلب عليه السوداء فتخيل صورًا سودًا، ومحاكاة أفكار سبقت، أو محاكاة أفكار وجبت».

التفسير: المراد منه: أن من خواص القوة المتخيلة تشبيهه الشيء بشبهه أو بضده. أما التشبيه بالتشبيه، فلأن الرجل إذا استولى على مزاجه الخلط السوداوى، فإنه يرى في منامه الصور السود.

وأما الشبيه بالضد فكما قال في بعض المقامات: أنها تعبر بأضدادها.

وهنا آخر الكلام في القوى الباطنة المحركة.